كيمياء السعادة

و

الرسالة الوعظية

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

مكتبة ومطبعة المصباح

كيمياء السعادة

و

الرسالة الوعظية

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

مكتبة ومطبعة المصباح

MAKTABAH
KITAB
NUSANTARA

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صعد قوالب الاصفياء بالمجاهدة واسعد قلوب
الاولياء بالمشاهدة وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر وجلى خواطر العارفين
بالفكر وحرس سواد العباد عن الفساد وحبس مراد الزهاد على السداد
وخلص اشباح المتقين من ظلم الشهوات وصفى ارواح الموقنين عن
ظلم الشبهات وقبل اعمال الاخيار باداء الصلوات وايد خصال
الاحرار باسد الصلات احمده حمد من راى ايات قدرته وقوته
وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته وطرق طوارق سره وبره
وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده واشكره شكر من اخترق
واغترف من نهر فضله وافضاله واؤمن به ايمان من امن بكتابه

وَخِطَابِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ بَعَثَهُ لِأَصْلَابِ الْفَسَقَةِ وَالْفَجَرَةِ قَاصِمًا وَلِعُرَى الْجَاحِدِينَ

وَالْمَارِقِينَ فَاصِمًا وَلِبَاغِي الشَّكِّ وَالشِّرْكِ قَاهِرًا وَلِأَتْبَاعِ الْحَقِّ وَالْإِحْسَانِ

نَاصِرًا فَصَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

عُنْوَانُ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْكِيمِيَاءَ الظَّاهِرِيَّةَ لَا تَكُونُ فِي خَزَائِنِ الْعَوَامِّ وَإِنَّمَا تَكُونُ فِي

خَزَائِنِ الْمُلُوكِ فَكَذٰلِكَ كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي خَزَائِنِ اللّٰهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَفِي السَّمَاءِ جَوَاهِرُ الْمَلَائِكَةِ وَفِي الْأَرْضِ قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ

الْعَارِفِينَ فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ هٰذِهِ الْكِيمِيَاءَ مِنْ غَيْرِ حَضْرَةِ النُّبُوَّةِ فَقَدْ

أَخْطَأَ الطَّرِيقَ وَيَكُونُ عَمَلُهُ كَالدِّينَارِ الْبَهْرَجِ فَيَظُنُّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ غَنِيٌّ
وَهُوَ مُفْلِسٌ فِي الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَائَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. (ق ٢٣) وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
لِعِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ
يُعَلِّمُونَ النَّاسَ نُسْخَةَ الْكِيمْيَاءِ وَيُعَلِّمُونَهُمْ كَيْفَ يَجْعَلُونَ الْقَلْبَ فِي
كُورِ الْمُجَاهَدَةِ وَكَيْفَ يُطَهِّرُونَ الْقَلْبَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَكَيْفَ
يُؤَدُّونَهُ لِطُرُقِ الصَّفَاءِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ
رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
(الجمعة : ٢) أَيْ يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَمِنْ صِفَاتِ الْبَهَائِمِ
وَيَجْعَلُ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ لِبَاسَهُمْ وَحِلْيَتَهُمْ، وَمَقْصُودُ هَذِهِ الْكِيمْيَاءِ

أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ يَتَعَرَّى مِنْهُ وَكُلَّ مَا يَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ يَلْبَسُهُ وَسِرُّ هٰذِهِ الْكِيمِيَاءِ أَنْ تَرْجِعَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا. (المزمّل: ٨) وَفَضْلُ هٰذِهِ الْكِيمِيَاءِ طَوِيلٌ.

فَصْلٌ فِي مَعْرِفَةِ النَّفْسِ

اِعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى هُوَ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. (فصّلت ٥٣) وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِذَا لَمْ تَعْرِفْ نَفْسَكَ فَكَيْفَ تَعْرِفُ رَبَّكَ ؟

فَإِنْ قُلْتَ إِنِّي أَعْرِفُ نَفْسِي فَإِنَّمَا تَعْرِفُ الْجِسْمَ الظَّاهِرَ الَّذِي هُوَ الْيَدُ وَالرِّجْلُ

وَالرَّأْسُ وَالْجُثَّةُ وَلَا تَعْرِفُ مَا فِي بَاطِنِكَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ إِذَا غَضِبْتَ
طَلَبْتَ الْخُصُومَةَ وَإِذَا اشْتَهَيْتَ طَلَبْتَ النِّكَاحَ وَإِذَا جُعْتَ طَلَبْتَ الْأَكْلَ
وَإِذَا عَطِشْتَ طَلَبْتَ الشُّرْبَ وَالدَّوَابُّ تُشَارِكُكَ فِي هٰذِهِ الْأُمُورِ فَالْوَاجِبُ
عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ بِالْحَقِيقَةِ حَتَّى تَدْرِيَ أَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ
جِئْتَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ وَلِأَيِّ شَيْءٍ خُلِقْتَ وَبِأَيِّ شَيْءٍ سَعَادَتُكَ وَبِأَيِّ
شَيْءٍ شَقَاؤُكَ وَقَدْ جُمِعَتْ فِي بَاطِنِكَ صِفَاتٌ مِنْهَا صِفَاتُ الْبَهَائِمِ
وَمِنْهَا صِفَاتُ السِّبَاعِ وَمِنْهَا صِفَاتُ الْمَلَائِكَةِ فَالرُّوحُ حَقِيقَةُ جَوْهَرِكَ
وَغَيْرُهَا غَرِيبٌ مِنْكَ وَعَارِيَةٌ عِنْدَكَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ هٰذَا
وَتَعْرِفَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ غِذَاءً وَسَعَادَةً فَإِنَّ سَعَادَةَ الْبَهَائِمِ فِي
الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ وَالنِّكَاحِ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَاجْتَهِدْ فِي أَعْمَالِ الْجَوْفِ

وَالْفَرَحِ وَسَعَادَةُ السِّبَاعِ فِي الضَّرْبِ وَالْفَتْكِ وَسَعَادَةُ الشَّيَاطِيْنِ فِي
الْمَكْرِ وَالشَّرِّ وَالْحِيَلِ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَاشْتَغِلْ بِاشْتِغَالِهِمْ وَسَعَادَةُ الْمَلَائِكَةِ
فِي مُشَاهَدَةِ جَمَالِ الْحَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَيْسَ لِلْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ إِلَيْهِمْ طَرِيْقٌ
فَإِنْ كُنْتَ مِنْ جَوْهَرِ الْمَلَائِكَةِ فَاجْتَهِدْ فِي مَعْرِفَةِ أَصْلِكَ حَتَّى تَعْرِفَ
الطَّرِيْقَ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ وَتَبْلُغَ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَتُخَلِّصَ
نَفْسَكَ مِنْ قَيْدِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَتَعْلَمَ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَاتِ لِأَيِّ شَيْءٍ
رُكِّبَتْ فِيْكَ فَمَا خَلَقَهَا اللّٰهُ تَعَالَى لِتَكُوْنَ أَسِيْرَهَا وَلٰكِنْ خَلَقَهَا حَتَّى
تَكُوْنَ أَسْرَاكَ وَتُسَخِّرَهَا لِلسَّفَرِ الَّذِيْ قُدَّامَكَ وَتَجْعَلَ إِحْدَاهَا مَرْكَبَكَ
وَالْأُخْرَى سِلَاحَكَ حَتَّى تَصِيْدَ بِهَا سَعَادَتَكَ فَإِذَا بَلَغْتَ غَرَضَكَ فَقَاوِمْ
بِهَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَارْجِعْ إِلَى مَكَانِ سَعَادَتِكَ وَذٰلِكَ الْمَكَانُ قَرَارُ خَوَاصِّ

اَلْحَضْرَةِ الْاِلٰهِيَّةِ وَقَرَارُ الْعَوَامِّ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ فَتَحْتَاجُ اِلَى مَعْرِفَةِ

هٰذِهِ الْمَعَانِيْ حَتّٰى تَعْرِفَ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا قَلِيْلًا فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هٰذِهِ

الْمَعَانِيْ فَنَصِيْبُهُ مِنَ الْقُشُوْرِ لِاَنَّ الْحَقَّ يَكُوْنُ عَنْهُ مَحْجُوْبًا ۔

«فَصْلٌ» اِذَا شِئْتَ اَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ فَاعْلَمْ اَنَّكَ مِنْ شَيْئَيْنِ الْاَوَّلُ

هٰذَا الْقَلْبُ وَالثَّانِيْ يُسَمَّى النَّفْسَ وَالرُّوْحَ وَالنَّفْسُ هُوَ الْقَلْبُ الَّذِيْ تَعْرِفُهُ

بِعَيْنِ الْبَاطِنِ وَحَقِيْقَتُكَ الْبَاطِنُ لِاَنَّ الْجَسَدَ اَوَّلٌ وَهُوَ الْاٰخِرُ وَالنَّفْسُ

اٰخِرٌ وَهُوَ الْاَوَّلُ وَيُسَمّٰى قَلْبًا وَلَيْسَ الْقَلْبُ هٰذِهِ الْقِطْعَةَ اللَّحْمِيَّةَ الَّتِيْ

فِي الصَّدْرِ مِنَ الْجَانِبِ الْاَيْسَرِ لِاَنَّهُ يَكُوْنُ فِي الدَّوَابِّ وَالْمَوْتٰى وَكُلُّ شَيْءٍ

تُبْصِرُهُ بِعَيْنِ الظَّاهِرِ فَهُوَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ الَّذِيْ يُسَمّٰى عَالَمَ الشَّهَادَةِ

وَاَمَّا حَقِيْقَةُ الْقَلْبِ فَلَيْسَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ لٰكِنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ فَهُوَ

فِي هٰذَا الْعَالَمِ غَرِيبٌ وَتِلْكَ الْقِطْعَةُ اللَّحْمِيَّةُ مُرَكَّبَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ عَسَاكِرُهُ وَهُوَ الْمَلِكُ وَمَعْرِفَةُ اللهِ وَمُشَاهَدَةُ جَمَالِ الْحَضْرَةِ صِفَاتُهُ وَالتَّكْلِيفُ عَلَيْهِ وَالْخِطَابُ مَعَهُ وَلَهُ الثَّوَابُ وَعَلَيْهِ الْعِقَابُ وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ تَلْحَقَانِهِ وَالرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَبَعُهُ وَمَعَهُ وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ وَمَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ مِفْتَاحُ مَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَلَيْكَ بِالْمُجَاهَدَةِ حَتَّى تَعْرِفَهُ لِأَنَّهُ جَوْهَرٌ عَزِيزٌ مِنْ جِنْسِ جَوْهَرِ الْمَلَائِكَةِ وَأَصْلُ مَعْدَنِهِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَكَانِ جَاءَ وَإِلَى ذٰلِكَ الْمَكَانِ يَعُودُ.

﴿فصل﴾ أَمَّا سُؤَالُكَ مَا حَقِيقَةُ الْقَلْبِ فَلَمْ يَجِئْ فِي الشَّرِيعَةِ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

لِاَنَّ الرُّوْحَ جُزْءٌ مِنْ جُمْلَةِ الْقُدْرَةِ الْاِلٰهِيَّةِ وَهُوَ مِنْ (الإسراء ٨٥)
عَالَمِ الْاَمْرِ، قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ (الاعراف ٥٤).
فَالْاِنْسَانُ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ مِنْ جَانِبٍ وَمِنْ عَالَمِ الْاَمْرِ مِنْ جَانِبٍ فَكُلُّ
شَيْءٍ يَجُوْزُ عَلَيْهِ لِلْمَسَاحَةِ وَالْمِقْدَارِ وَالْكَيْفِيَّةِ فَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ
وَلَيْسَ لِلْقَلْبِ مِسَاحَةٌ وَلَا مِقْدَارٌ وَلِهٰذَا لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ وَلَوْ قَبِلَ الْقِسْمَةَ
لَكَانَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَكَانَ مِنْ جَانِبِ الْجَهْلِ جَاهِلًا وَمِنْ جَانِبِ الْعِلْمِ
عَالِمًا وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُوْنُ فِيْهِ عِلْمٌ وَجَهْلٌ فَهُوَ مُحَالٌ وَفِيْ مَعْنًى اٰخَرَ هُوَ مِنْ
عَالَمِ الْاَمْرِ لِاَنَّ عَالَمَ الْاَمْرِ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْاَشْيَاءِ لَا يَكُوْنُ لِلْمِسَاحَةِ
وَالتَّقْدِيْرِ طَرِيْقٌ اِلَيْهِ وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ اَنَّ الرُّوْحَ قَدِيْمٌ فَغَلِطُوْا وَقَالَ
قَوْمٌ اِنَّهُ عَرَضٌ فَغَلِطُوْا لِاَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُوْمُ بِنَفْسِهِ وَيَكُوْنُ تَابِعًا

لِغَيْرِهِ فَالرُّوحُ هُوَ أَصْلُ ابْنِ آدَمَ وَقَالَبُ ابْنِ آدَمَ تَبَعٌ لَهُ فَكَيْفَ
يَكُونُ عَرَضًا وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ جِسْمٌ فَغَلِطُوا لِأَنَّ الْجِسْمَ يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ
فَالرُّوحُ الَّذِي سَمَّيْنَاهُ قَلْبًا وَهُوَ مَحَلُّ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى لَيْسَ بِجِسْمٍ
وَلَا عَرَضٍ بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَمَعْرِفَةُ الرُّوحِ صَعْبَةٌ جِدًّا
لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الدِّينِ طَرِيقٌ إِلٰى مَعْرِفَتِهِ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ فِي الدِّينِ
إِلٰى مَعْرِفَتِهِ لِأَنَّ الدِّينَ هُوَ الْمُجَاهَدَةُ وَالْمَعْرِفَةُ عَلَامَةُ الْهِدَايَةِ
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
(العنكبوت: ٦٩). وَمَنْ لَمْ يَجْتَهِدْ حَقَّ اجْتِهَادِهِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُتَحَدَّثَ
مَعَهُ فِي مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الرُّوحِ وَأَوَّلُ أُسِّ الْمُجَاهَدَةِ أَنْ تَعْرِفَ عَسْكَرَ
الْقَلْبِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْعَسْكَرَ لَمْ يَصِحَّ لَهُ الْجِهَادُ.

«فَصْلٌ» اِعْلَمْ اَنَّ النَّفْسَ مَرْكَبُ الْقَلْبِ وَلِلْقَلْبِ عَسَاكِرُ كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُوْدَ رَبِّكَ اِلَّا هُوَ. (المدثر: ٣١).
وَالْقَلْبُ مَخْلُوقٌ لِعَمَلِ الْاٰخِرَةِ طَلَبًا لِسَعَادَتِهٖ وَسَعَادَتُهٗ مَعْرِفَةُ رَبِّهٖ
عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْرِفَةُ رَبِّهٖ تَعَالَى تَحْصُلُ لَهٗ مِنْ صُنْعِ اللّٰهِ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ
عَالَمِهٖ وَلَا تَحْصُلُ لَهٗ مَعْرِفَةُ عَجَائِبِ الْعَالَمِ اِلَّا مِنْ طَرِيْقِ الْحَوَاسِّ
وَالْحَوَاسُّ مِنَ الْقَلْبِ وَالْقَالَبُ مَرْكَبُهٗ ثُمَّ مَعْرِفَةُ صَيْدِهٖ وَمَعْرِفَةُ
شَبَكَتِهٖ وَالْقَالَبُ لَا يَقُوْمُ اِلَّا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْحَرَارَةِ وَالرُّطُوْبَةِ
وَهُوَ ضَعِيْفٌ عَلَى خَطَرٍ مِنَ الْجُوْعِ وَالْعَطَشِ فِي الْبَاطِنِ وَعَلَى خَطَرٍ مِنَ
الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي الظَّاهِرِ وَهُوَ مُقَابِلُ اَعْدَاءٍ كَثِيْرَةٍ.

«فَصْلٌ» وَتَحْتَاجُ اَنْ تَعْرِفَ الْعَسْكَرَيْنِ وَذٰلِكَ اَنَّ الْعَسْكَرَ الظَّاهِرَ هُوَ

الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ وَمَنَازِلُهُمْ فِي الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَيْنِ وَجَمِيعِ الْأَعْضَاءِ وَأَمَّا الْعَسْكَرُ الْبَاطِنُ فَمَنَازِلُهُ فِي الدِّمَاغِ وَهُوَ قُوَى الْخَيَالِ وَالتَّفَكُّرِ وَالْحِفْظِ وَالتَّذَكُّرِ وَالْوَهْمِ وَلِكُلِّ قُوَّةٍ مِنْ هٰذِهِ الْقُوَى عَمَلٌ خَاصٌّ فَإِنْ ضَعُفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ضَعُفَ حَالُ ابْنِ آدَمَ فِي الدَّارَيْنِ وَجُمْلَةُ هٰذَيْنِ الْعَسْكَرَيْنِ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ أَمِيرُهُمَا فَإِنْ أَمَرَ اللِّسَانَ أَنْ يَذْكُرَ ذَكَرَ وَإِنْ أَمَرَ الْيَدَ أَنْ تَبْطِشَ بَطَشَتْ وَإِنْ أَمَرَ الرِّجْلَ أَنْ تَسْعَى سَعَتْ وَكَذٰلِكَ الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ حَتَّى يَحْفَظَ نَفْسَهُ كَيْمَا يَدَّخِرَ الزَّادَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ وَيُحَصِّلَ الصَّيْدَ وَتَتِمَّ التِّجَارَةُ وَيَجْمَعَ بَذْرَ السَّعَادَةِ وَهٰؤُلَاءِ طَائِعُونَ لِلْقَلْبِ كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ طَائِعُونَ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ.

فَصْلٌ فِي مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ وَعَسْكَرِهِ اِعْلَمْ اَنَّهُ قِيْلَ فِي الْمَثَلِ الْمَشْهُوْرِ

إِنَّ النَّفْسَ كَالْمَدِيْنَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ وَجَمِيْعَ الْاَعْضَاءِ ضِيَاعُهَا وَالْقُوَّةَ

الشَّهْوَانِيَّةَ وَالِيهَا وَالْقُوَّةَ الْغَضَبِيَّةَ شِحْنَتُهَا وَالْقَلْبَ مَلِكُهَا وَالْعَقْلَ

وَزِيْرُهَا وَالْمَلِكُ يُدَبِّرُهُمْ حَتَّى تَسْتَقِرَّ مَمْلَكَتُهُ وَاَحْوَالُهُ لِاَنَّ الْوَالِيَ

وَهُوَ الشَّهْوَةُ كَذَّابٌ فُضُوْلِيٌّ مُخَلِّطٌ وَالشِّحْنَةَ وَهُوَ الْغَضَبُ شِرِّيْرٌ

قَتَّالٌ خَرَّابٌ فَاِنْ تَرَكَهُمُ الْمَلِكُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ هَلَكَتِ الْمَدِيْنَةُ

وَخَرِبَتْ فَيَجِبُ اَنْ يُشَاوِرَ الْمَلِكُ الْوَزِيْرَ وَيَجْعَلَ الْوَالِيَ وَالشِّحْنَةَ تَحْتَ

يَدِ الْوَزِيْرِ فَاِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ اِسْتَقَرَّتْ اَحْوَالُ الْمَمْلَكَةِ وَتَعَمَّرَتِ الْمَدِيْنَةُ

وَكَذٰلِكَ الْقَلْبُ يُشَاوِرُ الْعَقْلَ وَيَجْعَلُ الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ تَحْتَ حُكْمِهِ

حَتَّى تَسْتَقِرَّ اَحْوَالُ النَّفْسِ وَيَصِلَ اِلَى سَبَبِ السَّعَادَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَضْرَةِ

الْإِلٰهِيَّةِ وَلَوْ جَعَلَ الْعَقْلَ تَحْتَ يَدِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ هَلَكَتْ نَفْسُهُ

وَكَانَ قَلْبُهُ شَقِيًّا فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَصْلٌ﴾ - اِعْلَمْ اَنَّ الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ خَادِمَانِ لِلنَّفْسِ جَاذِبَانِ

يَحْفَظَانِ أَمْرَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ لِحَمْلِ الْحَوَاسِّ ثُمَّ النَّفْسُ خَادِمُ

الْحَوَاسِّ شَبَكَةُ الْعَقْلِ وَجَوَاسِيسُهُ يُبْصِرُ بِهَا صَنَائِعَ الْبَارِئِ جَلَّتْ

قُدْرَتُهُ ثُمَّ الْحَوَاسُّ خَادِمُ الْعَقْلِ وَهُوَ لِلْقَلْبِ سِرَاجٌ وَشَمْعَةٌ يُبْصِرُ

بِنُورِهِ الْحَضْرَةَ الْإِلٰهِيَّةَ لِأَنَّ الْجَنَّةَ وَهِيَ نَصِيبُ الْجَوْفِ اَوِ الْفَرْجِ

مُحْتَقَرَةٌ فِي جَنْبِ تِلْكَ الْجَنَّةِ ثُمَّ الْعَقْلُ خَادِمُ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ

مَخْلُوقٌ لِنَظَرِ جَمَالِ الْحَضْرَةِ الْإِلٰهِيَّةِ فَمَنِ اجْتَهَدَ فِي هٰذِهِ الصَّنْعَةِ

فَهُوَ عَبْدٌ حَقٌّ فِي غِلْمَانِ الْحَضْرَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَمَا خَلَقْتُ

اَلْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ . (الذاريات : ٥٦) . مَعْنَاهُ اَنَّا خَلَقْنَا

الْقَلْبَ وَاَعْطَيْنَاهُ الْمُلْكَ وَالْعَسْكَرَ وَجَعَلْنَا النَّفْسَ مَرْكَبَهُ حَتَّى

يُسَافِرَ عَلَيْهِ مِنْ عَالَمِ التُّرَابِ اِلَى اَعْلَى عِلِّيِّيْنَ فَاِذَا اَرَادَ اَنْ يُؤَدِّيَ

حَقَّ هٰذِهِ النِّعْمَةِ جَلَسَ مِثْلَ السُّلْطَانِ فِيْ صَدْرِ مَمْلَكَتِهِ وَجَعَلَ

الْحَضْرَةَ الْاِلٰهِيَّةَ قِبْلَتَهُ وَمَقْصِدَهُ وَجَعَلَ الْآخِرَةَ وَطَنَهُ وَقَرَارَهُ

وَالنَّفْسَ مَرْكَبَهُ وَالدُّنْيَا مَنْزِلَهُ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ خُدَّامَهُ

وَالْعَقْلَ وَزِيْرَهُ وَالشَّهْوَةَ عَامِلَهُ وَالْغَضَبَ شِحْنَتَهُ وَالْحَوَاسَّ

جَوَاسِيْسَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مُوَكَّلٌ بِعَالَمٍ مِنَ الْعَوَالِمِ يَجْمَعُ لَهُ اَحْوَالَ الْعَوَالِمِ

وَقُوَّةُ الْخَيَالِ فِيْ مُقَدَّمِ الدِّمَاغِ كَالنَّقِيْبِ يَجْمَعُ عِنْدَهُ اَخْبَارَ الْجَوَاسِيْسِ

وَقُوَّةُ الْحِفْظِ فِيْ وَسَطِ الدِّمَاغِ مِثْلُ صَاحِبِ الْخَرِيْطَةِ يَجْمَعُ الرِّقَاعَ

مِنْ يَدِ النَّقِيْبِ وَيَحْفَظُهَا إِلَى أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَى الْعَقْلِ فَإِذَا بَلَغَتْ هٰذِهِ
الْأَخْبَارُ إِلَى الْوَزِيْرِ يَرَى أَحْوَالَ الْمَمْلَكَةِ عَلَى مُقْتَضَاهَا فَإِذَا رَأَيْتَ وَاحِدًا
مِنْهُمْ قَدْ عَصَى عَلَيْكَ مِثْلَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ فَعَلَيْكَ بِالْمُجَاهَدَةِ وَلَا
تَقْصِدْ قَتْلَهُمَا لِأَنَّ الْمَمْلَكَةَ لَا تَسْتَقِرُّ إِلَّا بِهِمَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ كُنْتَ
سَعِيْدًا وَأَدَّيْتَ حَقَّ النِّعْمَةِ وَوَجَبَتْ لَكَ الْخِلْعَةُ فِي وَقْتِهَا وَإِلَّا كُنْتَ
شَقِيًّا وَوَجَبَتْ عَلَيْكَ النَّكَالُ وَالْعُقُوْبَةُ.

﴿فصل﴾ تَمَامُ السَّعَادَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : قُوَّةِ الْغَضَبِ
وَقُوَّةِ الشَّهْوَةِ وَقُوَّةِ الْعِلْمِ ، فَيُحْتَاجُ أَنْ يَكُوْنَ أَمْرُهَا مُتَوَسِّطًا

لِئَلَّا تَزِيدَ قُوَّةُ الشَّهْوَةِ فَتُخْرِجَهُ إِلَى الرُّخَصِ فَيَهْلِكَ أَوْ تَزِيدَ قُوَّةُ

الْغَضَبِ فَتُخْرِجَهُ إِلَى الْحُمْقِ فَيَهْلِكَ فَإِذَا تَوَسَّطَتِ الْقُوَّتَانِ بِإِشَارَةِ

قُوَّةِ الْعَدْلِ دَلَّتْ عَلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ وَكَذَلِكَ الْغَضَبُ إِذَا زَادَ سَهُلَ

عَلَيْهِ الضَّرْبُ وَالْقَتْلُ وَإِذَا نَقَصَ ذَهَبَتِ الْغَيْرَةُ وَالْحَمِيَّةُ فِي الدِّينِ

وَالدُّنْيَا وَإِذَا تَوَسَّطَ كَانَ الصَّبْرُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْحِكْمَةُ وَكَذَا الشَّهْوَةُ

إِذَا زَادَتْ كَانَ الْفِسْقُ وَالْفُجُورُ وَإِنْ نَقَصَتْ كَانَ الْعَجْزُ وَالْفُتُورُ

وَإِنْ تَوَسَّطَتْ كَانَ الْعِفَّةُ وَالْقَنَاعَةُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

﴿فَصْلٌ﴾ - اِعْلَمْ أَنَّ لِلْقَلْبِ مَعَ عَسْكَرِهِ أَحْوَالًا وَصِفَاتٍ بَعْضُهَا

يُسَمَّى أَخْلَاقَ السُّوءِ وَبَعْضُهَا أَخْلَاقَ الْحُسْنِ فَبِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ يَبْلُغُ

دَرَجَةَ السَّعَادَةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ هَلَاكُهُ وَخُرُوجُهُ لِلشَّقَاءِ وَهَذِهِ

كُلُّهَا تُبْلُغُ اَرْبَعَةَ اَجْنَاسٍ: اَخْلَاقَ الشَّيَاطِيْنِ وَاَخْلَاقَ الْبَهَائِمِ

وَاَخْلَاقَ السِّبَاعِ وَاَخْلَاقَ الْمَلَائِكَةِ فَأَعْمَالُ السُّوْءِ مِنَ الْاَكْلِ وَالشُّرْبِ

وَالنَّوْمِ وَالنِّكَاحِ هِيَ اَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ وَكَذٰلِكَ اَعْمَالُ الْغَضَبِ مِنَ الضَّرْبِ

وَالْقَتْلِ وَالْخُصُوْمَةِ هِيَ اَخْلَاقُ السِّبَاعِ وَكَذٰلِكَ اَعْمَالُ النَّفْسِ وَهِيَ

الْمَكْرُ وَالْحِيْلَةُ وَالْغِشُّ وَغَيْرُ ذٰلِكَ هِيَ اَخْلَاقُ الشَّيَاطِيْنِ وَكَذٰلِكَ

اَعْمَالُ الْعَقْلِ الَّتِيْ هِيَ الرَّحْمَةُ وَالْعِلْمُ وَالْخَيْرُ هِيَ اَخْلَاقُ الْمَلَائِكَةِ.

《فَصْلٌ》 وَاعْلَمْ اَنَّ فِيْ جِلْدِ ابْنِ اٰدَمَ اَرْبَعَةَ اَشْيَاءَ: اَلْكَلْبَ وَالْخِنْزِيْرَ

وَالشَّيَاطِيْنَ وَالْمَلَكَ وَالْكَلْبُ مَذْمُوْمٌ فِيْ صِفَاتِهِ وَلَيْسَ بِمَذْمُوْمٍ فِيْ

صُوْرَتِهِ وَكَذٰلِكَ الشَّيَاطِيْنُ وَالْمَلَائِكَةُ ذَمُّهُمْ وَمَدْحُهُمْ فِيْ

صِفَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذٰلِكَ فِيْ صُوَرِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَكَذٰلِكَ الْخِنْزِيْرُ مَذْمُوْمٌ

فِي صِفَاتِهِ وَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ فِي خِلْقَتِهِ وَقَدْ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِأَنْ يَكْشِفَ
ظُلَمَ الْجَهْلِ بِنُورِ الْعَقْلِ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَا مِنْ
أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ وَلِي شَيْطَانٌ وَإِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَعَانَنِي عَلَى
شَيْطَانِي حَتَّى مَلَكْتُهُ وَكَذٰلِكَ الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
تَحْتَ يَدِ الْعَقْلِ فَلَا يَفْعَلَا شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِهِ فَإِنْ فَعَلَ ذٰلِكَ صَحَّ
لَهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ وَهِيَ صِفَاتُ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ بَذْرُ السَّعَادَةِ وَإِنْ
عَمِلَ بِخِلَافِ ذٰلِكَ فَخَدَمَ الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ صَحَّ لَهُ الْأَخْلَاقُ الْقَبِيحَةُ
وَهِيَ صِفَاتُ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ بَذْرُ الشَّقَاءِ فَيَتَبَيَّنُ لَهُ فِي نَوْمِهِ
كَأَنَّهُ قَائِمٌ مَشْدُودُ الْوَسَطِ يَخْدُمُ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ وَكَانَ مَثَلُهُ
كَمَثَلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ رِجَالًا مُسْلِمِينَ يَحْبِسُهُمْ عِنْدَ كَافِرِينَ

فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا حَبَسْتَ الْمَلَكَ وَهُوَ الْعَقْلُ تَحْتَ يَدِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَهُمَا الْكَلْبُ وَالْخِنْزِيرُ ؟.

﴿ فَصْلٌ ﴾ وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي صُورَةِ ابْنِ آدَمَ الْيَوْمَ وَغَدًا تَنْكَشِفُ لَهُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ الصُّوَرُ فِي مَعْنَى الْمَعَانِي فَأَمَّا الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ فَيَقُومُ فِي صُورَةِ الْكَلْبِ وَأَمَّا الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ فَيَقُومُ فِي صُورَةِ الْخِنْزِيرِ لِأَنَّ الصُّوَرَ تَابِعَةٌ لِلْمَعَانِي وَإِنَّمَا يُبْصِرُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مَا صَحَّ فِي بَاطِنِهِ وَإِنَّمَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي بَاطِنِهِ هٰذِهِ الْأَرْبَعَةُ فَيَجِبُ أَنْ يُرَاقِبَ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَيَعْرِفَ مِنْ أَيِّ الْأَرْبَعَةِ هُوَ فَإِنَّ صِفَاتِهِ تَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ وَتَبْقَى مَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ بَقِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ شَيْءٌ فَهُوَ بَذْرُ

السَّعَادَةِ وَاِنْ بَقِيَ مَعَهُ غَيْرُ ذٰلِكَ فَهُوَ بَذْرُ الشَّقَاءِ وَابْنُ آدَمَ لَا يَنْفَكُّ وَلَا يَنْفَصِلُ عَنْ حَرَكَةٍ اَوْ سُكُوْنٍ وَقَلْبُهُ مِثْلُ الزُّجَاجِ وَاَخْلَاقُ السُّوْءِ كَالدُّخَانِ وَالظُّلْمَةِ فَاِذَا وَصَلَ اِلَيْهِ ذٰلِكَ اَظْلَمَ عَلَيْهِ طَرِيْقُ السَّعَادَةِ وَاَخْلَاقُ الْحَسَنِ كَالنُّوْرِ وَالضَّوْءِ فَاِذَا وَصَلَ اِلَى الْقَلْبِ طَهَّرَهُ مِنْ ظُلَمِ الْمَعَاصِيْ كَمَا قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَالْقَلْبُ اِمَّا مُضِيْئٌ اَوْ مُظْلِمٌ وَلَا يَنْجُوْ اِلَّا مَنْ اَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ .

﴿فصل﴾ وَاعْلَمْ اَنَّ الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ اللَّتَيْنِ فِي الْبَهَائِمِ جُعِلَتَا اَيْضًا فِيْ ابْنِ آدَمَ وَلٰكِنَّهُ اُعْطِيَ شَيْئًا آخَرَ زِيَادَةً عَلَيْهَا لِلشَّرَفِ وَالْكَمَالِ وَبِذٰلِكَ تَحْصُلُ لَهُ مَعْرِفَةُ اللّٰهِ تَعَالٰى وَجُمْلَةُ عَجَائِبِ صُنْعِهِ وَبِهِ

يُخَلِّصُ نَفْسَهُ مِنْ يَدِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَتَحْصُلُ لَهُ صِفَاتُ الْمَلَائِكَةِ
وَلِذٰلِكَ يَظْفَرُ بِالسِّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَتَصِيْرُ كُلُّهَا مُسَخَّرَةً لَهُ كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا. الجاثية ١٣

﴿ فَصْلٌ فِي عَجَائِبِ الْقَلْبِ ﴾ اِعْلَمْ اَنَّ لِلْقَلْبِ بَابَيْنِ لِلْعُلُوْمِ وَاحِدٌ
لِلْاَحْلَامِ وَالثَّانِي لِعِلْمِ الْيَقْظَةِ وَهُوَ الْبَابُ الظَّاهِرُ اِلَى الْخَارِجِ فَاِنْ نَامَ
غُلِّقَ بَابُ الْحَوَاسِّ فَيُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْبَاطِنِ وَيُكْشَفُ لَهُ غَيْبٌ مِنْ
عَالَمِ الْمَلَكُوْتِ وَمِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ فَيَكُوْنُ مِثْلَ الضَّوْءِ وَرُبَّمَا احْتَاجَ
كَشْفُهُ اِلٰى شَيْءٍ مِنْ تَعْبِيْرِ الْاَحْلَامِ وَاَمَّا مَا كَانَ مِنَ الظَّاهِرِ فَيَظُنُّ
النَّاسُ اَنَّ بِهِ الْيَقْظَةَ وَاَنَّ الْيَقْظَةَ اَوْلٰى بِالْمَعْرِفَةِ مَعَ اَنَّهُ لَا يُبْصِرُ فِي الْيَقْظَةِ
شَيْئًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَمَا يُبْصِرُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقْظَةِ اَوْلٰى بِالْمَعْرِفَةِ مِمَّا

يُبْصَرُ مِنْ طَرِيْقِ الْحَوَاسِّ.

﴿فَصْلٌ﴾ وَتَحْتَاجُ اَنْ تَعْرِفَ فِيْ ضِمْنِ ذٰلِكَ اَنَّ الْقَلْبَ مِثْلُ الْمِرْآةِ وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوْظَ مِثْلُ الْمِرْآةِ اَيْضًا لِاَنَّ فِيْهِ صُوْرَةَ كُلِّ مَوْجُوْدٍ وَاِذَا قَابَلَتِ الْمِرْآةُ بِمِرْآةٍ اُخْرٰى حَلَّتْ صُوَرُ مَا فِيْ اِحْدَاهُمَا فِي الْاُخْرٰى وَكَذٰلِكَ تَظْهَرُ صُوَرُ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ اِلَى الْقَلْبِ اِذَا كَانَ فَارِغًا مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَاِنْ كَانَ مَشْغُوْلًا بِهَا كَانَ عَالَمُ الْمَلَكُوْتِ مَحْجُوْبًا عَنْهُ وَاِنْ كَانَ فِيْ حَالِ النَّوْمِ فَارِغًا مِنْ عَلَائِقِ الْحَوَاسِّ طَالَعَ جَوَاهِرَ عَالَمِ الْمَلَكُوْتِ فَظَهَرَ فِيْهِ بَعْضُ الصُّوَرِ الَّتِيْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ وَاِذَا اُغْلِقَ بَابُ الْحَوَاسِّ كَانَ بَعْدَهُ الْخَيَالُ لِذٰلِكَ يَكُوْنُ الَّذِيْ يُبْصِرُهُ تَحْتَ سِتْرِ الْقِشْرِ وَلَيْسَ كَالْحَقِّ الصَّرِيْحِ مَكْشُوْفًا فَاِذَا مَاتَ اَيِ الْقَلْبُ بِمَوْتِ

صَاحِبِهِ لَمْ يَبْقَ خَيَالٌ وَلَا حَوَاسٌّ وَفِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ يُبْصِرُ بِغَيْرِ وَهْمٍ وَغَيْرِ
خَيَالٍ وَيُقَالُ لَهُ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. ق: ٢٢

﴿فَصْلٌ﴾ وَاعْلَمْ اَنَّهُ مَا مِنْ اَحَدٍ اِلَّا وَيَدْخُلُ فِي قَلْبِهِ الْخَاطِرُ الْمُسْتَقِيمُ
وَبَيَانُ الْحَقِّ عَلَى سَبِيلِ الْاِلْهَامِ وَذٰلِكَ لَا يَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِّ بَلْ
يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ لَا يُعْرَفُ مِنْ اَيْنَ جَاءَ لِاَنَّ الْقَلْبَ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ
وَالْحَوَاسُّ مَخْلُوقَةٌ لِهٰذَا الْعَالَمِ عَالَمِ الْمُلْكِ فَلِذٰلِكَ يَكُونُ حِجَابُهُ عَنْ
مُطَالَعَةِ ذٰلِكَ الْعَالَمِ اِذَا لَمْ يَكُنْ فَارِغًا مِنْ شُغُلِ الْحَوَاسِّ .

﴿فَصْلٌ﴾ وَلَا تَظُنَّنَّ اَنَّ هٰذِهِ اللَّطَافَةَ تَنْفَتِحُ بِالنَّوْمِ وَالْمَوْتِ
فَقَطْ بَلْ تَنْفَتِحُ بِالْيَقْظَةِ لِمَنْ اَخْلَصَ الْجِهَادَ وَالرِّيَاضَةَ وَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِ
الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَالْاَخْلَاقِ الْقَبِيحَةِ وَالْاَعْمَالِ الرَّدِيئَةِ فَاِذَا جَلَسَ فِي

مَكَانٍ خَالٍ وَعَطَّلَ طَرِيقَ الْحَوَاسِّ وَفَتَحَ عَيْنَ الْبَاطِنِ وَسَمْعَهُ وَجَعَلَ الْقَلْبَ فِي مُنَاسَبَةِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَقَالَ دَائِمًا " اَللّٰهُ اَللّٰهُ اَللّٰهُ " بِقَلْبِهِ دُونَ لِسَانِهِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ لَا خَبَرَ مَعَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنَ الْعَالَمِ وَيَبْقَى لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اِنْفَتَحَتْ تِلْكَ الطَّاقَةُ وَأَبْصَرَ فِي الْيَقْظَةِ الَّذِي يُبْصِرُهُ فِي النَّوْمِ فَتَظْهَرُ لَهُ أَرْوَاحُ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصُّوَرُ الْحَسَنَةُ الْجَمِيلَةُ الْجَلِيلَةُ وَانْكَشَفَتْ لَهُ مَلَكُوتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَرَأَى مَا لَا يُمْكِنُ شَرْحُهُ وَلَا وَصْفُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَقَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ. (الأنعام: ٧٥). لِأَنَّ عُلُومَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلَّهَا

كَانَتْ مِنْ هٰذَا الطَّرِيْقِ لَا مِنْ طَرِيْقِ الْحَوَاسِّ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالٰى: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيْلًا. (المزمل: ٨).
مَعْنَاهُ الْإِنْقِطَاعُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَطْهِيْرُ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْإِبْتِهَالُ
إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى بِالْكُلِّيَّةِ وَهُوَ طَرِيْقُ الصُّوْفِيَّةِ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ
وَأَمَّا طَرِيْقُ التَّعْلِيْمِ فَهُوَ طَرِيْقُ الْعُلَمَاءِ وَهٰذِهِ الدَّرَجَةُ الْكَبِيْرَةُ مُخْتَصَرَةٌ
مِنْ طَرِيْقِ النُّبُوَّةِ وَكَذٰلِكَ عِلْمُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ بِلَا وَاسِطَةٍ
مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. (الكهف: ٦٥) وَهٰذِهِ الطَّرِيْقَةُ لَا تُفْهَمُ إِلَّا
بِالتَّجْرِبَةِ وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ بِالذَّوْقِ لَمْ تَحْصُلْ بِالتَّعْلِيْمِ وَالْوَاجِبُ
التَّصْدِيْقُ بِهَا حَتّٰى لَا تُحْرَمُ شُعَاعَ سَعَادَتِهِمْ وَهُوَ مِنْ عَجَائِبِ الْقَلْبِ

وَمَنْ لَمْ يُبْصِرْ لَمْ يُصَدِّقْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ. (يونس ٣٩).

وَقَوْلُهُ: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ. (الاحقاف: ١١)

﴿فصل﴾ وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ هَذَا خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّ جَوْهَرَ ابْنِ آدَمَ فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ مَوْضُوعٌ لِهَذَا كَالْحَدِيدِ لِأَنْ يَعْمَلَ مِنْهُ مِرْآةٌ يَنْظُرُ فِيهَا صُورَةَ الْعَالَمِ إِلَّا الَّذِي صَدَأَ فَيَحْتَاجُ إِلَى إِجْلَاءٍ أَوْ جِلًى فَيَحْتَاجُ إِلَى صَقْلٍ أَوْ سَبْكٍ لِأَنَّهُ قَدْ تَلِفَ وَكَذَلِكَ كُلُّ قَلْبٍ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّهَوَاتُ وَالْمَعَاصِي لَمْ يَبْلُغْ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَإِنْ لَمْ تَغْلِبْ عَلَيْهِ تِلْكَ الدَّرَجَةَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

قَالُوا بَلٰى. (الاعراف: ١٧٢) وَكَذٰلِكَ بَنُوا آدَمَ فِي فِطْرَتِهِمُ التَّصْدِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ. كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (الروم: ٣٠) وَالْاَنْبِيَاءُ وَالْاَوْلِيَاءُ هُمْ بَنُو آدَمَ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى: قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. (فصلت: ٦) فَكُلُّ مَنْ زَرَعَ حَصَدَ وَمَنْ مَشٰى وَصَلَ وَمَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَالطَّلَبُ لَا يَحْصُلُ اِلَّا بِالْمُجَاهَدَةِ طَلَبَ شَيْخٍ بَالِغٍ عَارِفٍ قَدْ مَشٰى فِي هٰذَا الطَّرِيقِ وَاِذَا حَصَلَ هٰذَانِ الشَّيْئَانِ لِاَحَدٍ فَقَدْ اَرَادَ اللّٰهُ لَهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّعَادَةَ بِحُكْمٍ اَزَلِيٍّ حَتّٰى يَبْلُغَ اِلٰى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ.

﴿فَصْلٌ﴾ - فِي اَنَّ اللَّذَّةَ وَالسَّعَادَةَ لِابْنِ آدَمَ فِي مَعْرِفَةِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى. اِعْلَمْ اَنَّ سَعَادَةَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَذَّتَهُ وَرَاحَتَهُ وَلَذَّةَ كُلِّ شَيْءٍ

تكون بمقتضى طبعه وطبع كل شيء ما خلق له فلذة العين في
الصور الحسنة ولذة الأذن في الأصوات الطيبة وكذلك سائر الجوارح
بهذه الصفة ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لأنه
مخلوق لها وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به مثل الشطرنج
إذا عرفها فرح بها ولو نهي عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر
وكذلك إذا وقع في معرفة الله سبحانه وتعالى فرح بها ولم يصبر
عن المشاهدة لأن لذة القلب المعرفة وكلما كانت المعرفة أكبر كانت
اللذة أكبر ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح ولو علم الملك
لكان أعظم فرحا وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى
لأن شرف كل موجود به ومنه وكل عجائب العالم آثار صنعه فلا معرفة

أَعَزُّ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا لَذَّةَ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَتِهِ وَلَيْسَ مَنْظَرٌ أَحْسَنَ
مِنْ مَنْظَرِ حَضْرَتِهِ وَكُلُّ لَذَّاتِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالنَّفْسِ وَهِيَ
تَبْطُلُ بِالْمَوْتِ وَلَذَّةُ مَعْرِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْقَلْبِ فَلَا تَبْطُلُ بِالْمَوْتِ
لِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَهْلِكُ بِالْمَوْتِ بَلْ تَكُونُ لَذَّتُهُ أَكْثَرَ وَضَوْءُهُ أَكْبَرَ لِأَنَّهُ
خَرَجَ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى الضَّوْءِ .

﴿فَصْلٌ﴾ وَاعْلَمْ أَنَّ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْعَالَمِ وَفِيهَا مِنْ
كُلِّ صُورَةٍ فِي الْعَالَمِ أَثَرٌ مِنْهُ لِأَنَّ هٰذِهِ الْعِظَامَ كَالْجِبَالِ وَلَحْمَهُ كَالتُّرَابِ
وَشَعْرَهُ كَالنَّبَاتِ وَرَأْسَهُ مِثْلُ السَّمَاءِ وَحَوَاسَّهُ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ
وَتَفْصِيلُ ذٰلِكَ طَوِيلٌ وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي بَاطِنِهِ صُنَّاعَ الْعَالَمِ لِأَنَّ
الْقُوَّةَ الَّتِي فِي الْمَعِدَةِ كَالطَّبَّاخِ وَالَّتِي فِي الْكَبِدِ كَالْخَبَّازِ وَالَّتِي فِي

الأمعاء كالقصار والتي تبيض اللبن وتحمر الدم كالصباغ وشرح ذلك طويل والمقصود أن تعلم كم في باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك وأنت في غفلة عنهم وهم لا يستريحون ولا تعرفهم أنت ولا تشكر من أنعم عليك بهم.

فصل في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التي يقال عنها في علم التشريح

وهو علم عظيم والخلق غافلون عنه وكذلك علم الطب فكل من أراد أن ينظر في نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج إلى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الإلهية: الأولى: أن يعرف أن خالق الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى وليس عمل في العالم بأعجب من خلق الإنسان من

مَاءٍ مَهِينٍ وَتَصْوِيرِ هٰذَا الشَّخْصِ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ الْعَجِيبَةِ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ (الإنسان : ٢) . فَإِعَادَتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْابْتِدَاءِ. اَلثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ مُحِيطٌ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا لِأَنَّ هٰذِهِ الْعَجَائِبَ وَالْغَرَائِبَ لَا تُمْكِنُ إِلَّا بِكَمَالِ الْعِلْمِ اَلثَّالِثَةُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لُطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ وَعِنَايَتَهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَأَنَّهَا لَا نِهَايَةَ لَهَا لِمَا تَرَى فِي النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْمَعَادِنِ فِي سَعَةِ الْقُدْرَةِ وَحُسْنِ الصُّوَرِ وَالْأَلْوَانِ.

﴿فَصْلٌ فِي تَفْصِيلِ خِلْقَةِ بَنِي آدَمَ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ مَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ، وَهُوَ عِلْمٌ شَرِيفٌ﴾ وَذٰلِكَ مَعْرِفَةُ عَجَائِبِ الصَّنَائِعِ الْإِلٰهِيَّةِ

وَمَعْرِفَةُ عِظَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَهُوَ مُخْتَصَرُ مَعْرِفَةِ
الْقَلْبِ وَهُوَ عِلْمٌ شَرِيفٌ إِذْ هُوَ مَعْرِفَةُ الصَّنَائِعِ الْإِلٰهِيَّةِ لِأَنَّ النَّفْسَ
كَالْفَرَسِ وَالْعَقْلَ كَالرَّاكِبِ وَجِمَاعُهُمَا الْفَارِسُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ
نَفْسَهُ وَهُوَ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ غَيْرِهِ فَهُوَ كَالرَّجُلِ الْمُفْلِسِ الَّذِي لَيْسَ
لَهُ طَعَامٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَقُوتُ فُقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فَهٰذَا مُحَالٌ.

(فَصْلٌ) إِذَا عَرَفْتَ هٰذَا الْعِزَّ وَالشَّرَفَ وَالْكَمَالَ وَالْجَمَالَ وَالْجَلَالَ
بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ جَوْهَرَ الْقَلْبِ أَنَّهُ جَوْهَرٌ عَزِيزٌ قَدْ وُهِبَ لَكَ وَبَعْدَ
ذٰلِكَ خَفِيَ عَنْكَ فَإِنْ لَمْ تَطْلُبْهُ وَغَفَلْتَ عَنْهُ وَضَيَّعْتَهُ كَانَ ذٰلِكَ
حَسْرَةً عَظِيمَةً عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاجْتَهِدْ فِي طَلَبِهِ وَاتْرُكْ أَشْغَالَ
الدُّنْيَا كُلَّهَا وَكُلُّ شَرَفٍ لَمْ يَظْهَرْ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ فَرَحٌ بِلَا غَمٍّ

وَبَقَاءٌ بِلَا فَنَاءٍ وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ وَمَعْرِفَةٌ بِلَا جَهْلٍ وَجَمَالٌ
وَجَلَالٌ عَظِيمَانِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَزَ مِنْهُ لِأَنَّهُ مِسْكِينٌ
نَاقِصٌ وَإِنَّمَا الشَّرَفُ غَدًا إِذَا طَرَحَ مِنْ هٰذِهِ الْكِيمْيَاءِ عَلَى جَوْهَرِ
قَلْبِهِ حَتَّى يَخْلُصَ مِنْهُ شِبْهُ الْبَهَائِمِ وَيَبْلُغَ دَرَجَةَ الْمَلَائِكَةِ فَإِنْ
رَجَعَ إِلَى الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَا فَضَلَتْ عَلَيْهِ الْبَهَائِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا
تَصِيرُ إِلَى التُّرَابِ وَيَبْقَى هُوَ فِي الْعَذَابِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذٰلِكَ وَنَسْتَجِيرُ
بِهِ وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مُقَدِّمَةُ الرِّسَالَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ لِسَانِ مَنْ اَثِقُ بِهِ سِيَرَةُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الزَّاهِدِ

حَرَسَ اللهُ تَوْفِيقَهُ وَسَمَّرَهُ فِي مُهِمِّ دِينِهِ مَا قَوَّى رَغْبَتِي فِي
مُؤَاخَاتِهِ فِي اللهِ تَعَالَى رَجَاءً لِمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُتَحَابِّينَ
وَهٰذِهِ الْأُخُوَّةُ لَا تَسْتَدْعِي مُشَاهَدَةَ الْأَشْخَاصِ وَقُرْبَ الْأَبْدَانِ وَإِنَّمَا
تَسْتَدْعِي قُرْبَ الْقُلُوبِ وَتَعَارُفَ الْأَرْوَاحِ وَهِيَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَإِذَا
تَعَارَفَتْ ائْتَلَفَتْ وَهَا أَنَا عَاقِدٌ مَعَهُ الْأُخُوَّةَ فِي اللهِ تَعَالَى
وَمُقْتَرِحٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُخَلِّيَنِي عَنْ دَعَوَاتٍ فِي أَوْقَاتِ خَلْوَتِهِ
وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيَنِي الْحَقَّ حَقًّا وَيَرْزُقَنِي اتِّبَاعَهُ وَأَنْ
يُرِيَنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَيَرْزُقَنِي اجْتِنَابَهُ ثُمَّ قَرَعَ سَمْعِي أَنَّهُ الْتَمَسَ
مِنِّي كَلَامًا فِي مَعْرِضِ النُّصْحِ وَالْوَعْظِ وَقَوْلًا وَجِيزًا فِيمَا يَجِبُ
عَلَى الْمُكَلَّفِ اعْتِقَادُهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ .

وَعْظُ النَّفْسِ

أَمَّا الْوَعْظُ فَلَسْتُ أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لَهُ لِأَنَّ الْوَعْظَ زَكَاةٌ نِصَابُهَا
الْاِتِّعَاظُ وَمَنْ لَا نِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَفَاقِدُ النُّورِ كَيْفَ
يَسْتَنِيرُ بِهِ غَيْرُهُ وَمَتَى يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ وَقَدْ أَوْحَى
اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظْتَ
فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مِنِّي وَقَالَ نَبِيُّنَا تَرَكْتُ فِيكُمْ وَاعِظَيْنِ
نَاطِقٌ وَصَامِتٌ فَالنَّاطِقُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالصَّامِتُ هُوَ الْمَوْتُ وَفِيهِمَا
كِفَايَةٌ لِكُلِّ مُتَّعِظٍ وَمَنْ لَا يَتَّعِظُ بِهِمَا فَكَيْفَ يَعِظُ غَيْرَهُ وَلَقَدْ وَعَظْتُ
بِهِمَا نَفْسِي فَصَدَّقَتْ وَقَبِلَتْ قَوْلًا وَعَقْلًا وَأَبَتْ وَتَمَرَّدَتْ تَحْقِيقًا
وَفِعْلًا فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَمَا أَنْتِ مُصَدِّقَةٌ بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْوَاعِظُ

النَّاطِقُ وَأَنَّهُ النَّاصِحُ الصَّادِقُ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللهِ الْمُنَزَّلُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ اللهُ تَعَالَى مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (هود : ١٥-١٦).

فَقَدْ وَعَدَكِ اللهُ تَعَالَى بِالنَّارِ عَلَى إِرَادَةِ الدُّنْيَا وَكُلُّ مَا لَا يَصْحَبُكِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَهُوَ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ تَنَزَّهْتِ عَنْ إِرَادَةِ الدُّنْيَا أَوْ حُبِّهَا وَلَوْ أَنَّ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا وَعَدَكِ بِالْمَوْتِ أَوِ الْمَرَضِ عَلَى تَنَاوُلِكِ أَلَذَّ الشَّهَوَاتِ لَتَحَاشَيْتِهَا وَاتَّقَيْتِهَا أَكَانَ النَّصْرَانِيُّ عِنْدَكِ أَصْدَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ؟ فَإِنْ كَانَ ذَٰلِكَ فَمَا أَكْفَرَكِ أَوْ كَانَ الْمَرَضُ أَشَدَّ عِنْدَكِ

مِنَ النَّارِ فَإِنْ كَانَ كَذٰلِكَ فَمَا أَجْهَلَكِ فَصَدَّقْتِ ثُمَّ مَا انْتَفَعْتِ

بَلْ أَصْرَرْتِ عَلَى الْمَيْلِ إِلَى الْعَاجِلَةِ وَاسْتَمْرَرْتِ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا

فَوَعَظْتُهَا بِالْوَاعِظِ الصَّامِتِ فَقُلْتُ: قَدْ أَخْبَرَ النَّاطِقُ عَنِ الصَّامِتِ

إِذْ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ

تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، الجمعة: ٨

وَقُلْتُ لَهَا: هَبِي أَنَّكِ مِلْتِ إِلَى الْعَاجِلَةِ أَفَلَسْتِ مُصَدِّقَةً بِأَنَّ

الْمَوْتَ لَا مَحَالَةَ آتِيكِ وَقَاطِعٌ عَلَيْكِ كُلَّ مَا أَنْتِ مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ وَسَالِبٌ

مِنْكِ كُلَّ مَا أَنْتِ رَاغِبَةٌ فِيهِ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَالْبَعِيدُ مَا لَيْسَ

بِآتٍ وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ

مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝ (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧)

أَفَأَنْتِ مُخْرِجَةٌ هٰذَا عَنْ جَمِيعِ مَا أَنْتِ فِيهِ ؟ وَالْحُرُّ الْحَكِيمُ يَخْرُجُ مِنَ
الدُّنْيَا خَائِبًا خَاسِرًا مُتَحَسِّرًا فَقَالَتْ : صَدَقْتَ . فَكَانَ ذٰلِكَ
مِنْهَا قَوْلًا لَا تَحْصِيلَ وَرَاءَهُ إِذْ لَمْ تَجْتَهِدْ قَطُّ فِي التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ
كَاجْتِهَادِهَا فِي تَدْبِيرِ الْعَاجِلِ وَلَمْ تَجْتَهِدْ قَطُّ فِي رِضَاءِ اللّٰهِ تَعَالَى
كَاجْتِهَادِهَا فِي رِضَاهَا بَلْ كَاجْتِهَادِهَا فِي طَلَبِ الْخَلْقِ وَلَمْ تَسْتَحِ
قَطُّ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى كَمَا تَسْتَحِي مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَلَمْ تُشَمِّرْ
لِلْاِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ كَتَشْمِيرِهَا فِي الصَّيْفِ فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ فِي أَوَائِلِ
الشِّتَاءِ مَا لَمْ تَفْرُغْ مِنْ جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ مَعَ أَنَّ
الْمَوْتَ رُبَّمَا يَخْتَطِفُهَا وَالشِّتَاءُ لَا يُدْرِكُهَا وَالْآخِرَةُ عَلَى يَقِينٍ لَا يُتَصَوَّرُ
أَنْ يُخْتَطَفَ مِنْهَا وَقُلْتُ لَهَا : أَلَا تَسْتَعِدِّينَ لِلصَّيْفِ بِقَدْرِ طُولِهِ

وَتَصْنَعِينَ آلَةَ الصَّيْفِ بِقَدْرِ صَبْرِكِ عَلَى الْحَرِّ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ
قُلْتُ : فَاعْصِي اللهَ بِقَدْرِ صَبْرِكِ عَلَى النَّارِ وَاسْتَعِدِّي لِلْآخِرَةِ
بِقَدْرِ بَقَائِكِ فِيهَا فَقَالَتْ : هٰذَا هُوَ الْوَاجِبُ الَّذِي لَا يَرْخُصُ فِي
تَرْكِهِ إِلَّا الْأَحْمَقُ ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا فَوَجَدْتُنِي كَمَا قَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَمُوتُ نِصْفُهُ وَلَا يَنْزَجِرُ نِصْفُهُ
الْآخَرُ وَمَا أَرَانِي إِلَّا مِنْهُمْ وَلَمَّا رَأَيْتُهَا مُتَمَادِيَةً فِي الطُّغْيَانِ غَيْرَ
مُنْتَفِعَةٍ بِوَعْظِ الْمَوْتِ وَالْقُرْآنِ رَأَيْتُ أَهَمَّ الْأُمُورِ التَّفْتِيشَ عَنْ
سَبَبِ تَمَادِيهَا مَعَ اعْتِرَافِهَا وَتَصْدِيقِهَا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الْعَجَائِبِ الْعَظِيمَةِ
فَطَالَ عَلَيْهِ تَفْتِيشِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى سَبَبِهِ وَهَا أَنَا مُؤَنِّسٌ وَإِيَّاهُ
بِالْحَذَرِ مِنْهُ فَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ وَهُوَ السَّبَبُ الدَّاعِي إِلَى الْغُرُورِ وَالْإِهْمَالِ

وَهُوَ اعْتِقَادُ تَرَاخِي الْمَوْتِ وَاسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ عَلَى الْقُرْبِ فَإِنَّهُ

لَوْ اَخْبَرَهُ صَادِقٌ فِي بَيَاضِ نَهَارِهِ اَنَّهُ يَمُوتُ فِي لَيْلَتِهِ اَوْ يَمُوتُ إِلَى

اُسْبُوعٍ اَوْ اَشْهُرٍ لَاسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَتَرَكَ جَمِيعَ مَا

هُوَ فِيهِ مِمَّا يَظُنُّ اَنَّهُ مِمَّا يَتَعَاطَاهُ لِلّٰهِ تَعَالَى وَمَغْرُورٌ فِيهِ فَضْلًا

عَمَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلّٰهِ تَعَالَى فَانْكَشَفَ تَحْقِيقًا اَنَّ مَنْ اَصْبَحَ وَهُوَ

يَأْمُلُ اَنْ يُمْسِيَ اَوْ أَمْسَى وَهُوَ يَأْمُلُ اَنْ يُصْبِحَ لَمْ يَخْلُ مِنَ الْفُتُورِ

وَالتَّسْوِيفِ وَلَمْ يَقْدِرْ اِلَّا عَلَى سَيْرٍ ضَعِيفٍ فَأُوصِيهِ وَنَفْسِيْ بِمَا

اَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: صَلِّ صَلَاةَ

مُوَدِّعٍ وَلَقَدْ اُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَصْلَ الْخِطَابِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِوَعْظٍ

اِلَّا بِهِ فَمَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ اَنَّهَا آخِرُ صَلَاتِهِ حَضَرَ

مَعَهُ قَلْبُهُ فِي الصَّلَاةِ وَتَيَسَّرَ لَهُ الْاِسْتِعْدَادُ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَمَنْ
عَجَزَ عَنْ ذٰلِكَ فَلَا يَزَالُ فِي غَفْلَةٍ دَائِمَةٍ وَغُرُوْرٍ مُسْتَمِرٍّ وَتَسْوِيْفٍ
مُتَتَابِعٍ اِلَى اَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَتُدْرِكَهُ حَسْرَةُ الْفَوْتِ وَاَنَا مُقْتَرِحٌ عَلَيْهِ
اَنْ يَسْأَلَ اللّٰهَ تَعَالٰى اَنْ يَرْزُقَنِيْ هٰذِهِ الرُّتْبَةَ فَاِنِّيْ طَالِبٌ لَهَا وَقَاصِرٌ
عَنْهَا وَاُوْصِيْهِ اَنْ لَا يَرْضٰى مِنْ نَفْسِهِ اِلَّا بِهَا وَاَنْ يَحْذَرَ مِنْ مَوَاقِعِ
الْغُرُوْرِ فَاِذَا وَعَدَتِ النَّفْسُ بِذٰلِكَ طَالِبَهَا بِمَوْثِقٍ غَلِيْظٍ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى
فَاِنَّ خِدَاعَ النَّفْسِ لَا يَقِفُ عَلَيْهِ اِلَّا الْاَكْيَاسُ. وَأَمَّا اَقَلُّ مَا يَجِبُ
اِعْتِقَادُهُ عَلَى الْمُكَلَّفِ فَهُوَ مَا يُتَرْجِمُهُ قَوْلُهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ
رَسُوْلُ اللّٰهِ. ثُمَّ اِذَا صَدَّقَ الرَّسُوْلَ فَيَنْبَغِيْ اَنْ يُصَدِّقَهُ فِي صِفَاتِ
اللّٰهِ تَعَالٰى فَاِنَّهُ حَيٌّ قَادِرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ مُرِيْدٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَحْثٌ عَنْ حَقِيقَةِ هٰذِهِ الصِّفَاتِ
وَاَنَّ الْكَلَامَ وَالْعِلْمَ وَغَيْرَهُمَا قَدِيمٌ اَوْ حَادِثٌ بَلْ لَوْ لَمْ تَخْطُرْ لَهُ هٰذِهِ
الْمَسْأَلَةُ حَتّٰى مَاتَ مُؤْمِنًا وَلَيْسَ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ الْاَدِلَّةِ الَّتِي حَرَّرَهَا
الْمُتَكَلِّمُونَ بَلْ كُلَّمَا حَصَلَ فِي قَلْبِهِ التَّصْدِيقُ بِالْحَقِّ بِمُجَرَّدِ الْاِيمَانِ
مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَمْ يُكَلِّفْ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَعَلٰى هٰذَا الْاِعْتِقَادِ الْمُجْمَلِ اِسْتَمَرَّتِ
الْاَعْرَابُ وَعَوَامُّ الْخَلْقِ اِلَّا مَنْ وَقَعَ فِي بَلْدَةٍ يَقْرَعُ سَمْعَهُ فِيهَا
هٰذِهِ الْمَسَائِلُ مُقَدَّمُ الْكَلَامِ وَحُدُوثُهُ وَمَعْنَى الْاِسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ
وَغَيْرِهِ فَاِنْ لَمْ يَأْخُذْ ذٰلِكَ قَلْبَهُ وَبَقِيَ مَشْغُولًا بِعِبَادَتِهِ وَعَمَلِهِ فَلَا
حَرَجَ عَلَيْهِ وَاِنْ اَخَذَ ذٰلِكَ بِقَلْبِهِ فَاَقَلُّ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْهِ مَا اعْتَقَدَهُ

السَّلَفُ فَيَعْتَقِدُ فِي الْقُرْآنِ الْقِدَمَ كَمَا قَالَ السَّلَفُ : اَلْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَيَعْتَقِدُ اَنَّ الْاِسْتِوَاءَ حَقٌّ وَالسُّؤَالَ عَنْهُ مَعَ الْاِسْتِغْنَاءِ بِدْعَةٌ وَالْكَيْفِيَّةُ فِيهِ مَجْهُولَةٌ فَيُؤْمِنُ بِجَمِيعِ مَاجَاءَ بِهِ الشَّرْعُ إِيمَانًا مُجْمَلًا مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ذٰلِكَ وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ الْاِشْكَالُ وَالشَّكُّ فَإِنْ اَمْكَنَ اِزَالَةُ شَكِّهِ وَاِشْكَالِهِ بِكَلَامٍ قَرِيبٍ مِنَ الْاَفْهَامِ وَاِنْ لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا مَرْضِيًّا عِنْدَهُمْ فَذٰلِكَ كَافٍ وَلَا حَاجَةَ بِهِ اِلَى تَحْقِيقِ الدَّلِيلِ بَلِ الْاَوْلَى اَنْ يُزَالَ اِشْكَالُهُ مِنْ غَيْرِ بُرْهَانِ حَقِيقَةِ الدَّلِيلِ فَإِنَّ الدَّلِيلَ لَا يَتِمُّ اِلَّا بِدَرْكِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ عَنْهُ وَمَهْمَا ذُكِرَتِ الشُّبْهَةُ فَلَا يَبْعُدُ اَنْ يُنْكِرَ بِقَلْبِهِ وَيَكِلَّ فَهْمُهُ عَنْ دَرْكِ جَوَابِهِ

اِذِ الشُّبْهَةُ قَدْ تَكُوْنُ جَلِيَّةً وَالْجَوَابُ دَقِيْقًا لَا يَحْتَمِلُهُ عَقْلُهُ وَلِهٰذَا

زَجَرَ السَّلَفُ عَنِ الْبَحْثِ وَالتَّفْتِيْشِ عَنِ الْكَلَامِ وَاِنَّمَا زَجَرُوْا عَنْهُ

لِضُعَفَاءِ الْعَوَامِّ وَاَمَّا الْمُشْتَغِلُوْنَ بِدَرْكِ الْحَقَائِقِ فَلَهُمْ خَوْضُ

غَمْرَةِ الْإِشْكَالِ وَمَنْعُ الْكَلَامِ لِلْعَوَامِّ يَجْرِيْ مَجْرٰى مَنْعِ الصِّبْيَانِ مِنْ

شَاطِئِ نَهْرِ دِجْلَةَ خَوْفًا مِنَ الْغَرَقِ وَرُخْصَةُ الْاَقْوِيَاءِ فِيْهِ تُضَاهِيْ

رُخْصَةَ الْمَاهِرِ فِيْ صُنْعَةِ السِّبَاحَةِ اِلَّا اَنَّ هٰهُنَا مَوْضِعَ غُرُوْرٍ

وَمَزَلَّةِ قَدَمٍ وَهُوَ اَنَّ كُلَّ ضَعِيْفٍ فِيْ عَقْلِهٖ رَاضٍ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى فِيْ كَمَالِ

عَقْلِهٖ يَظُنُّ بِنَفْسِهٖ اَنَّهٗ يَقْدِرُ عَلٰى اِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ كُلِّهَا وَاَنَّهٗ مِنْ جُمْلَةِ الْاَقْوِيَاءِ

فَرُبَّمَا يَخُوْضُوْنَ فَيَغْرَقُوْنَ فِيْ بَحْرِ الْجَهَالَاتِ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ فَالصَّوَابُ لِلْخَلْقِ

كُلِّهِمْ اِلَّا الشَّاذَّ النَّادِرَ الَّذِيْ لَا تَسْمَحُ الْاَعْصَارُ اِلَّا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ اَوِ اثْنَيْنِ

سُلُوكُ مَسْلَكِ السَّلَفِ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ وَالتَّصْدِيقِ الْمُجْمَلِ بِكُلِّ مَا نَزَّلَهُ اللهُ تَعَالَى وَاخْبَرَ بِهِ رَسُوْلُهُ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَتَفْتِيْشٍ عَنِ الْاَدِلَّةِ بَلِ الْاِشْتِغَالُ بِالتَّقْوٰى عَلَيْهِ شُغْلٌ شَاغِلٌ اِذْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ رَأٰى أَصْحَابَهُ يَخُوْضُوْنَ بَعْدَ اَنْ غَضِبَ حَتّٰى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَبِهٰذَا أُمِرْتُمْ تَضْرِبُوْنَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ اُنْظُرُوْا مَا أَمَرَكُمُ اللّٰهُ بِهِ فَافْعَلُوْا وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا فَهٰذَا تَنْبِيْهٌ عَلَى الْمَنْهَجِ الْحَقِّ وَاسْتِيْفَاءُ ذٰلِكَ شَرَحْنَاهُ فِي كِتَابِ ,, قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ ،، فَيُطْلَبُ مِنْهُ وَالسَّلَامُ .

❖